الصفقة

محمود سالم

الصفقة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الصفقة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٦٦٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مطاردةٌ ... في الحيِّ الهادئ!	١١
حادثٌ ... في مستشفى الملكة!	١٥
رجلٌ آخر!	١٩
مكالمة من الرجل الغامض!	٢٣
اغتيال ... في شارع «ملبوري»!	٢٧
حدث ... في وقتٍ قصير!	٣١
تطورات سريعة!	٣٥
نهاية الرحلة!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مطاردةٌ ... في الحيِّ الهادئ!

كانت ليلةً شديدةَ البرودة، من ليالي شهر فبراير، والحركة هادئة في الشوارع النصف مُضاءة في مدينة «لندن». وعلى الرغم من أن الضَّباب كان كثيفًا والرؤية مُتعذرةً، إلا أن «أحمد» كان على يقين من أنه مُراقبٌ من سيارة تتبعه منذ مدةٍ طويلة.

وعندما توقَّفَت سيارة «أحمد» في إحدى إشارات المرور، وقفَت خلفه السيارة التي تتبعه، وكانت من طراز مرسيدس ذات لونٍ أحمر. ولكنه لم يتمكن من معرفة قائدها، أو حتى من تمييز ملامحه؛ فقد توقَّفَت السيارة على بُعد أمتارٍ منه. وعلى ضوء أنواره الخلفية استطاع أن يقرأ لوحات السيارة في المرآة، وعندما فُتحَت الإشارة في شارع «الأمير ألبرت»، وهو أحد الشوارع الهادئة التي تلتفُّ حول حديقة «ريجنت»، دار «أحمد» دورةً كاملةً حول الحديقة ليتأكد من أنه مُراقبٌ فعلًا من هذه السيارة. ولما تأكد «أحمد» من ذلك امتدَّت يده إلى تابلوه السيارة، وأمسكَت بمسدَّسه الضخم ماركة «كولت»، والذي اعتاد أن يُخبِّئه تحت مقعده. وبعد التأكُّد من أن المسدَّس في مكانه، واصلَت يده طريقها حتى قُرص التليفون المثبَّت في تابلوه السيارة، وبدأ في الاتصال بأرقام المقرِّ السريِّ للشياطين في لندن. كان «أحمد» يقوم بهذه العملية بهدوء، حتى لا يعرف راكبُ السيارة الحمراء التي تُطارده أنه اكتشف وجوده.

وبعد لحظاتٍ جاء صوت «بو عمير» على الطرف الآخر، وباختصار شرح «أحمد» الموقف لـ «بو عمير» وأعطاه الرقم ليتحرى عنه في الكمبيوتر. وما هي إلا لحظاتٌ حتى كان «بو عمير» يخرج مسرعًا في سيارته الزرقاء، في اتجاه طريق الملك «إدوارد» حسب اتفاقه مع «أحمد» في التليفون. وبعد دقائق من القيادة السريعة، شاهد «بو عمير» الأضواء

الحمراء الخلفية للسيارة المرسيدس، التي أصبحَت مُحاصَرةً بين سيارة «أحمد» وسيارة «بو عمير».

وعند ذلك أطلق «أحمد» العِنان لسيارته السريعة، وفي إثرها كانت المرسيدس الحمراء تحاول اللحاق به، وعند أول منعطف يمين ترك «بو عمير» المطاردة، في اتجاه العودة إلى حديقة «ريجنت» مرةً أخرى، ولكن بسرعةٍ هادئة، حتى يترك لـ «أحمد» الفرصة لصُنع فارقٍ في المسافة بينه وبين مُطارِده في «المرسيدس». وما هي إلا لحظاتٌ حتى سمع «بو عمير» أزيز عجلات سيارة «أحمد»، وعندئذٍ ضغط «بو عمير» على بنزين سيارته بقوة، حتى إن عَجَلات السيارة كادت تطير. وعند تلاقي شارعَي «مارلي» و«بارك» ضغط «أحمد» على فرامل سيارته بقوةٍ حتى ارتفع صُراخ العجلات، وظهرَت أدخنةٌ بيضاء على الأسفلت الأسود، وما كان من سائق المرسيدس إلا أن ضغط على فرامل سيارته هو الآخر، في محاولةٍ يائسةٍ لإيقافها. وقد نجح في ذلك، وتوقَّفَت سيارته حتى كادت مقدِّمتها تلمس مؤخرة سيارة «أحمد».

وفي هذه اللحظة تقدَّم «بو عمير» بسيارته بسرعةٍ فائقة، ليسُد الطريق على المرسيدس الحمراء حتى لا يحاول سائقها الفرار. وفي ثوانٍ كان «أحمد» و«بو عمير»، كلٌّ منهما خارج سيارته يحمل مسدسه في يده، و«أحمد» يقترب من السيارة في حذرٍ من الأمام، و«بو عمير» يتقدَّم من الخلف.

وفي تلك الأثناء، في مقرِّ الشياطين، كانت «إلهام» و«زبيدة» قد عادتا من المسرحية التي كان «قيس» قد دعاهما إليها، وبعد أن وضع سيارته في الجراج، تبعهما إلى داخل الفيلَّا، وكم كانت دهشتهم كبيرةً لعدم وجود «أحمد» و«بو عمير» في الداخل على عكس الاتفاق بينهم!

دخلَت «إلهام» غرفة الاتصالات، فوجدَت رسالةً من «بو عمير» يشرح فيها باختصار الموقف، وطلب فيها التحري عن رقم السيارة الذي أعطاه له «أحمد»، في الاتصال التليفوني السريع الذي تمَّ بينهما.

أسرعَت «إلهام» إلى «زبيدة» و«قيس» تقرأ عليهما رسالة «بو عمير»، فأخذ «قيس» منها الورقة وأسرع إلى الكمبيوتر وأملاه رقم السيارة، وبعد ثوانٍ ظهرَت على الشاشة كل المعلومات التي تفيد عن صاحب السيارة، وهو رجلٌ يُدعى «فريد عبد الله»، من أصلٍ جزائريٍّ يعمل كمديرٍ لشركةٍ تُدعى «جولدن وولف» للكيماويات، ومقرُّها «واشنطن» بالولايات المتحدة، عمره ٥٦ عامًا، متزوِّجٌ وله ابنةٌ واحدة عمرها ١٩ سنة.

أخذ «قيس» الورقة التي أخرجها جهاز الكمبيوتر، وخرج إلى الصالة ليقرأها على «إلهام» و«زبيدة»، وعندما نطق «قيس» باسمِ الرجل صاحب السيارة، ارتسمَت الدهشة على وجوه الشياطين الثلاثة؛ فهذا الرجل كان بينهم وبينه اتصالاتٌ ومعاملاتٌ في الصيف الماضي، حينما سافر «أحمد» و«بو عمير» لشراء بعض المعدَّات والأسلحة الكيماوية من الشركة في «واشنطن». وهو رجلٌ كما أوضحَت تقارير رقم «صفر»، ليس من النوع الذي يُشتبَه فيه، فما هو مُبرِّر أن يتعقَّب «أحمد» في لندن وهو على علاقةٍ جيدةٍ معه.

وفي هذه الأثناء، في الشارع الموازي لحديقة «ريجنت»، كان «أحمد» يتقدم ناحية باب سائق المرسيدس الحمراء، التي لم ينزل منها صاحبها، بعد توقُّفه المفاجئ خلف سيارة «أحمد»، الذي رقد على الأرض حتى لا يصيبه رصاص قائد السيارة، إذا كان مُسلحًا هو الآخر. وبعد نظراتٍ سريعة بين «أحمد» و«بو عمير»، انطلق «أحمد» إلى الباب يتبعه «بو عمير»، ليحميه وليطلق النار إذا ما بدأ الرجل الآخر في إطلاق رصاص مسدسه، ولكن السائق مرةً أخرى، لم يطلق مسدسه، ولم يخرج من السيارة؛ فقد كان ملقًى على عجلة القيادة في حالة إغماء، نتجَت عن ارتطام رأسه بعجلة القيادة من أثَر الفرامل القوية.

وعند ذلك، مدَّ «أحمد» يده إليه ليعيده إلى كُرسيه مرةً أخرى، وتبادل «أحمد» و«بو عمير» نظرات الدهشة والتعجُّب؛ فإن مُطارِد «أحمد» لم يكن رجلًا كما كان متوقعًا، بل كانت فتاةً في العشرين من عمرها تقريبًا، مغشيًّا عليها، وهناك نزيفٌ بسيطٌ من أنفها!

حادثٌ ... في مستشفى الملكة!

عندما وصل «أحمد» إلى مقرِّ الشياطين في لندن يتبعه «بو عمير» في سيارته، كانت «إلهام» تقف خلف النافذة في انتظار عودتهما.

دخل «أحمد» وقد ارتسمَت على وجهه ابتسامة، أما «بو عمير» فجلس صامتًا، وحكى «أحمد» ما حدث منذ بداية المطاردة، حتى نقل الفتاة إلى مستشفى الملكة «إليزابيث» وهي في حالة إغماء.

وبدأَت مناقشةٌ حادةٌ حول ما حدث، وقالت «إلهام»: ولكن ما سبب مطاردة فتاةٍ لك في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟!

ردَّ «أحمد»: لا أعلم! وحتى بعد تفتيش سيارتها، لم أجد معها أيَّ نوعٍ من أنواع الأسلحة، أو حتى أجهزة الإرسال. كذلك أعتقد أن أسلوبها في المطاردة بدائيٌّ جدًّا، ولا يتبعه أحدٌ من المحترفين؛ فقد كان من الممكن كشفها من البداية ... وعادةً يستخدم المحترفون سيارتَين في حالة مطاردة شخصٍ ما ... سيارة تتبعه وتختفي، وتحلُّ الأخرى محلها وهكذا.

سألَت «زبيدة»: ما بك يا «بو عمير»؟! ... فمنذ عودتك لم تتكلَّم، بل ويبدو عليك شرود الذهن!

بو عمير: السبب أني أُركِّز تفكيري جدًّا ... فأنا واثق أن ملامح هذه الفتاة ليست غريبةً عني!

أحمد: الشيء الغريب، أنني أعتقد أيضًا أنني قد رأيتها من قبلُ!

زبيدة: شيءٌ مدهشٌ ... لا بد من التذكُّر.

بو عمير: هذا ما أُحاوله دون جدوى.

تدخَّل «أحمد» في الحديث قائلًا: على كل حال في الصباح الباكر، ستذهب أنت و«زبيدة» إلى المستشفى، وربما عندما تراها جيدًا تتذكَّرها!

ابتسم «بو عمير»، وقالت «إلهام»: هل تناولتما طعام العشاء؟

ردَّ «أحمد»: ليس بعدُ.

فقامت «إلهام» و«زبيدة» إلى المطبخ لتجهيز الطعام، بينما جلس الشياطين الثلاثة في الصالة، في حديثٍ متصلٍ لإيجاد تبريرٍ لمطاردة الفتاة لـ «أحمد».

سأل «أحمد» «قيس»: هل تحرَّيتم عن رقم السيارة المرسيدس؟

ردَّ قيس: نعم!

ثم ذهب ليُحضِر ورقة الكمبيوتر. قرأ «أحمد» الورقة ونظر إلى «بو عمير» وأعطاها له، وبرقَت عينا «بو عمير» ونظر لـ «أحمد» نظرةً فيها أكثر من معنًى، وقال بصوتٍ عالٍ: تذكَّرتُها! تذكَّرتُ الفتاة، إنها «فريدة» ابنة العالِم «فريد عبد الله». كنتُ سأُجنُّ لو لم أتذكَّرها؛ فقد قابلتُها مرةً في مكتب أبيها في «واشنطن» في الصيف الماضي ... ولم نتحدث طويلًا ... لكنها حدثتني عن أبيها، وعن دراستها لعلم البكتيريا في جامعة في إنجلترا ... ولكن، ما الذي يدعو فتاةً مثل «فريدة» لمتابعتي، وأنا أعتقد أنها فتاةٌ هادئة، وأعتقد أنه ليس لها اتصالاتٌ مشبوهة، ولم يُعرف عنها أنها منضمة إلى عصابة أو أي شيء من هذا القبيل.

قطع الحديثَ دخولُ «إلهام» و«زبيدة» بالعشاء، وكان «أحمد» أول من أمسك بساندويتش وبدأ يأكل وهو ينظر لـ «بو عمير»، ثم بدأ باقي الأصدقاء في تناول الطعام.

وبعد دقائق، جاء صوت جهاز الإرسال الموجود في الحجرة الداخلية للمقرِّ، يُصدِر صفيره الحادَّ المتقطع، مُعلنًا وصول رسالةٍ للأصدقاء من رقم «صفر». فتوجه الشياطين إلى غرفة الاتصال، وبدأ «أحمد» يتلقى رسالة رقم «صفر» التي كانت تقول: تحية إلى الشياطين ... هناك أخبار أظنُّ أنها سوف تقطع عليكم هدوء إجازتكم في «لندن»، هناك رجلٌ تعرفونه وبالأخص «أحمد» و«بو عمير» يُدعى «فريد عبد الله» وهو الرجل الذي تعاقدنا معه في الصيف الماضي لشراء بعض الأسلحة الكيماوية الخاصة للشياطين. هذا الرجل اختفى منذ أسبوع من عمله، ومن مسكنه، وحتى من كلِّ الأماكن التي كان يتردَّد عليها. إن مصادري الخاصة في «واشنطن» تؤكِّد أنه لا يزال على قيد الحياة، ولكنه إما مختطف، أو هاربٌ ... وتؤكد معلومات عملائنا، بأنه حاول الاتصال بهم قبل أن يختفي. وسوف تصلني أخبارٌ أخرى غدًا مساءً. وأعتقد أنه من الأفضل أن تسافروا فورًا إلى

«واشنطن»، وسوف أتابعكم بالمعلومات الجديدة هناك، لمعرفة ما إذا كان «فريد» هاربًا أو مختطفًا ... فهو كما تعلمون على علاقةٍ طيبة بنا، وهو من العلماء العرب الذين نفخر بهم جميعًا ... إلى اللقاء في «واشنطن» لمتابعة خطة العمل هناك.

انطفأَت اللمبة الحمراء، مُعلنةً انتهاء رسالة رقم «صفر»، التي كان أثرها على الشياطين قويًّا، بعد أحداث المطاردة الليلية، وفتاة المرسيدس الحمراء.

قال «بو عمير»: مؤكَّد أن هناك علاقةً بين اختفاء «فريد عبد الله»، ومطاردة «فريدة» لك في الليل!

قال «أحمد»: وهل كانت لديها معلوماتٌ من أبيها تريد أن تدُلَّنا عليها؟ أو ربما كانت تعرف الجهة المسئولة عن اختفاء والدها، وعندما رأتني وتذكَّرتني، حاولَت أن تتبعني وتتصل بي لتعرض عليَّ الأمر!

قالت «إلهام»: على كلِّ حالٍ، الساعة الآن قد تجاوزَت الواحدة صباحًا، ولم يعُد هناك إلا ساعاتٌ قلائل على طلوع النهار. وغدًا في المستشفى، سوف نعلم كل شيءٍ منها شخصيًّا.

ردَّ «أحمد»: هذا صحيحٌ، وسأذهب مبكِّرًا مع «بو عمير» إلى المستشفى. وعلى «قيس» أن يقوم بعمل ترتيبات سفرنا في طائرة المساء إلى «واشنطن».

هزَّ «قيس» رأسه دليل الموافقة، وقام الأصدقاء إلى غرفهم للنوم.

استيقظَت «إلهام» في التاسعة صباحًا، وخرجَت من غرفتها فوجدَت «بو عمير» ينظر من خلف نافذة الصالة إلى الشارع، وقد ارتدى ملابسه، وبدا عليه كأنه لم يذُق طعم النوم. فألقت «إلهام» عليه تحية الصباح، فردَّ عليها «بو عمير»، الذي قال إنه في انتظار أن يُكمِل «أحمد» ارتداء ملابسه ليتوجَّها إلى المستشفى.

وفي هذه اللحظة خرج «أحمد» مرتديًا ملابسه، وطلب منها بعض الأشياء لتجهيزها لرحلة «واشنطن»، وخرج مع «بو عمير» إلى المستشفى.

عند باب المستشفى، وجد «أحمد» و«بو عمير» بعض رجال الشرطة يقفون في حالة من الترقُّب، ويقومون بالتأكُّد من شخصيات الداخلين. ورغم ذلك نجح «أحمد» و«بو عمير» في الدخول إلى المستشفى، ولاحظا اضطرابًا واضحًا في الطرقات، لم يطمئنَّا إليه. وعند الدور الثاني، حيث تركا «فريدة» ليلة أمس، وجدا بعض رجال البوليس، ومعهم مفتش في حوالي الأربعين من العمر يتحدَّث إلى أحد الأطباء. وأوقفهما رجل شرطة وسألهما عن قصدهما، وعندما سمع المفتش أنهما اللذان نقلا المصابة ليلة أمس، توجَّه إليهما ليستفسر منهما عن بعض النقاط.

وعندئذٍ سأل «أحمد» المفتش: هل كل هذه الاستفسارات، لمجرد وجود فتاةٍ مصابة في حادثٍ عادي؟

نظر المفتش إلى «أحمد» ثم «بو عمير» ثم قال: هذه الأسئلة ليست بخصوص حادث السيارة، وإنما بخصوص اختطاف الفتاة ليلة أمس من المستشفى!

رجلٌ آخر!

جاء صوت المذيع خلال مكبِّرات الصوت في مطار واشنطن الدولي، معلنًا وصول رحلة الخطوط الجوية البريطانية القادمة من لندن، والتي كانت تقلُّ الشياطين، فحمل الشياطين الخمسة حقائبهم، وعند خروجهم من باب المطار وجدوا شابًّا أسمر نحيلًا في انتظارهم، عرَّفهم بنفسه وكان يُدعى «ستيف جاكسون». كانت معه سيارةٌ أمريكيةٌ حديثةٌ ضخمةٌ لونها أزرق، استقلَّها الشياطين إلى مقرِّهم في «واشنطن»، وتولى «ستيف» القيادة. عبَر خلالها بهم نهر «البوفوميك» إلى حي «أسترال» بلدج، وهو حيٌّ نصفُ مزدحم. وساعدَهم في حمل حقائبهم إلى شقَّتهم الخاصة، وكانت مفروشة على الطريقة الحديثة بعكس التي كانوا يقطنون بها في لندن، وعرَّفهم مكان جهاز الإرسال والاستقبال، وأنه سوف يمرُّ عليهم ليلًا للتفاهم معهم، وأعطاهم مفاتيح السيارتَين المخصصتَين لهم للتنقُّلات في «واشنطن» ... بعدها رحل «ستيف».

بدأ الشياطين يدخلون حجراتهم لتغيير ملابسهم، واستعادة نشاطهم بعد الرحلة الطويلة. وبعد دقائق، تجمَّع الشياطين مرةً أخرى في حجرة المعيشة، وفتح «أحمد» التليفزيون الذي كان يُذيع نشرةً إخباريةً مصوَّرةً عن أهم الأحداث الأخيرة في المدينة، وكان من بين هذه الأحداث حدَث اختفاء العالِم الجزائريِّ «فريد عبد الله».

تابع «أحمد» باهتمامٍ إذاعة الخبر واستجمع كلَّ المعلومات الهامة عن هذا العالِم وعن الظروف التي أحاطت باختفائه. وبعد إنهاء النشرة نظر «أحمد» خلفه، فوجد «بو عمير» و«إلهام» يقفان يتابعان النشرة باهتمام.

فقال «أحمد»: أعتقد أن هذه المعلومات الهامة قد تفيدنا في البحث عن «فريد عبد الله».

إلهام: ولكنها ليست كافيةً.

بو عمير: أظنُّ أن رقم «صفر» سوف يُمدُّنا بالمعلومات اللازمة عن «فريد عبد الله»، وظروف اختفائه.

وكان ردُّ «بو عمير» صحيحًا؛ فلم يكد ينتهي من حديثه حتى سمع الأصدقاء صفير جهاز الإرسال، معلنًا قدوم رسالة من رقم «صفر». أسرع الأصدقاء إلى غرفة الاستقبال لتلقِّي الرسالة التي كانت تقول: وصلَتني تقارير عن سرِّ اختفاء الدكتور «فريد عبد الله»، مدير شركة «المستقبل» للأبحاث العلمية ... لقد اختفى الدكتور ومعه سرٌّ علميٌّ في غاية الخطورة ... فقد استطاع مع مجموعةٍ من العلماء التوصل إلى جهازٍ يمكنه تسجيل كلِّ ما يدور في عقل الإنسان ... وقد حاولَت الحكومة الأمريكية وكثيرٌ من الشركات شراء الجهاز الجديد، لكن الدكتور «فريد» رفض ... وقال لبعضِ من حوله إنه سيذهب إلى «مصر» حيث تتوفَّر إمكانيات البحث العلمي، وحيث يجد الحماية. وفي تلك الأثناء، عَلِمَت عصابة المافيا الإرهابية الدولية بخبر الجهاز الجديد، فاتصلَت بالدكتور «فريد»، الذي رفض تمامًا أن يناقش مندوب العصابة في هذا الجهاز مقابل أي مبلغ تعرضه العصابة. وقد قام الدكتور «فريد» بعدة تجاربَ أثبتَت نجاح الجهاز الجديد. وعندما بدأَت الضغوط تتزايد عليه، قام بتفكيك الجهاز إلى قطع صغيرة، ووضعها في أماكنَ متفرقةٍ بحيث يصعُب تجميعه، ثم قام أيضًا بتصوير المعادلات الرياضية الخاصة بالجهاز، على شريط «ميكروفيلم»، وأحرق جميع الأوراق الخاصة بالاكتشاف ... ثم اختفى ومعه الميكروفيلم عن الأنظار.

وجُنَّ جنون عصابة «المافيا»، عندما اختفى «فريد»، وبدأَت عمليةَ بحثٍ واسعة النطاق عنه ... وقد أوكلَت مهمة البحث عنه إلى شركةٍ من شركاتها الوهمية، يُطلَق عليها اسم «الشركة الدولية للصناعات» ... وقد انطلقَت في أثَر «فريد» ولا نعرف إذا كانت قد وصلَت إليه أم لا. ويدير هذه الشركة الوهمية رجلٌ ذو نفوذٍ واسع، اسمه «وليم وندرهاند». وسمِّي بهذا الاسم لأنه يضع يده اليسرى دائمًا في جيب سترته. و«وندرهاند» رجلٌ سمينٌ وقصيرٌ يتحدث ببطء رغم أنه عصبيٌّ جدًّا، وهو مُحاط بثلاثة من الحرس الخاص، أحدهم يتبعه كظله في كل مكان حتى في غرفة نومه، ويُسمَّى «جون الصغير». وسُمي هكذا من باب السخرية؛ لأنه ضخم الجُثة ويجيد استخدام كلتا يديه في القتال، وكذلك في استخدام المسدس، وأعتقد أنه في حالة الوصول إلى «وليم» هذا، نكون قد اقتربنا من طرف الخيط المُوصل لمكان «فريد عبد الله».

إذا طلبتم أية معلوماتٍ أخرى، فاطلبوها من «ستيف» الأسمر؛ فهو رجلكم في «واشنطن».

صمت الجهاز قليلًا، ثم سأل: هل هناك أي استفسار أو سؤال؟ ولم يسأل أحد من الشياطين شيئًا، فردَّ رقم «صفر»: حسنًا، أعتقد أن هذه المعلومات شِبه كافية لكم لبدء العمل في البحث عن «فريد»، حظًّا سعيدًا وإلى لقاء في التقرير القادم.

انطفأَت اللمبة الحمراء في أعلى الجهاز، بعدها توجَّه الشياطين إلى الصالة الرئيسية في شقَّتهم، وفي رأس كلٍّ منهم العديد من الأفكار.

ارتفع جرس التليفون فذهب «قيس» للرد عليه، وكانت المكالمة من «ستيف» صديقهم الأسمر النحيل.

كان «ستيف» يسأل عن أي مساعدة يقوم بها للأصدقاء، فشكره «قيس»، فقال «ستيف»: إنه سوف يمرُّ عليهم صباحًا لقضاء أيِّ عمل يُوكِلونه إليه.

بعد المكالمة قال «أحمد» الذي كان ينظر في ساعته: الساعة الآن تقترب من العاشرة مساءً، وما زال في إمكاننا القيام بجولة في المدينة.

ردَّت «إلهام» و«زبيدة»: سوف نذهب نحن إلى الفراش لأننا نحتاج إلى الراحة.

نظر «بو عمير» إلى «قيس» الذي قال: سأبقى هنا لتجهيز الأسلحة ... وانتظار أي تقاريرَ جديدةٍ من رقم «صفر» ...

قال «أحمد»: حسنًا، سأكون رفيقك الوحيد في هذه النزهة.

نزل الصديقان إلى الشارع، وركبا سيارة «داتسون» برتقالية اللون، وتولى «أحمد» القيادة، وطاف الصديقان في المدينة. وفي أحد شوارع حي «مديسون» الهادئ، أوقف «أحمد» السيارة لشراء بعض الساندويتشات من محل «روي»، وهو من المحلات الشهيرة في أمريكا التي تصنع «الهمبرجر».

نزل «أحمد» ودخل إلى المحل، في حين انتظره «بو عمير» في السيارة. وفي الجانب الآخر من الشارع، وجد «بو عمير» سيارةً بيضاء. وعلى المقعد المجاور للسائق كانت تجلس فتاة، نظر إليها «بو عمير» جيدًا، فلم يُصدِّق عينَيه؛ فلم تكن إلا «فريدة» ابنة العالِم المفقود «فريد»، الذي يقومون بالبحث عنه.

بسرعة، نزل «بو عمير» وجرى إلى السيارة، التي لم يكن قائدها بها، واقترب ليتأكَّد من أنها «فريدة» فعلًا. وتحدَّث إليها «بو عمير» وسألها: كيف خرجتِ من المستشفى؟!

فريدة: لقد حضرت إليك!

لم يكمل «بو عمير» حديثه؛ فالفتاة لم تنظر إليه، وإنما كانت عيناها مثبَّتتَين على الطريق أمامها، فاستنتج «بو عمير» أنها تحت تأثير حُقنةٍ مخدِّرة، فمدَّ «بو عمير» يده يهزُّها من كتفَيها، ولكنها لم تلتفت إليه. وبدأ يفتح الباب ليُنزِلها، وقد أدرك أن الحظ

الحسن قد هداهما إلى هذا المكان بالذات، لمشاهدة «فريدة» والإمساك بطرف الخيط ... ولكن أحلامه تبدَّدَت، بضربةٍ قويةٍ نزلَت على رأسه، فدار حول نفسه ثم سقط على أرض الشارع ... وانطلقَت السيارة مبتعدةً وهي تحمل «فريدة» إلى مصيرها المجهول.

مكالمة من الرجل الغامض!

عاد «أحمد» إلى السيارة يحمل الساندويتشات، فاندهش لاختفاء «بو عمير»، فطاف ببصره في المكان، فرأى «بو عمير» مُلقًى على وجهه عَبْر الشارع في الناحية الأخرى، فجرى إليه ورفع رأسه، وهزَّها بهدوء، فبدأ «بو عمير» يُفيق من غيبوبته، وتحامل على نفسه ووقف بمساندة «أحمد»، وذهبا إلى السيارة، وقصَّ على «أحمد» ما حدث، وتعجَّب «أحمد» جدًّا من رواية «بو عمير» وقال: «إذن فـ «فريدة» موجودة في «واشنطن»، وربما اختُطِفَت عن طريق العصابة، التي تستعملها كوسيلة للضغط على والدها، لتسليم الاختراع إليهم.

ردَّ «بو عمير»: أعتقد ذلك، وأعتقد أيضًا بأننا قد أصبحنا في قلب المغامرة ... وتحسَّس «بو عمير» رأسه وقال: آه! لو كنتُ رأيتُ هذا الرجل، لكنتُ علَّمتُه ألا يضرب أحدًا من الخلف مرةً أخرى.

وقبل أن يُدير «أحمد» محرِّك السيارة في طريق العودة إلى المنزل، سمع صوت أقدامٍ على أوراق الأشجار الجافَّة في الحديقة المجاورة. بدأَت هذه الأقدام تُسرِع حتى أصبحَت تجري، فنزل «أحمد» و«بو عمير» مسرعَين من السيارة وجرَيا خلف الرجل الذي كان يجري، وما هي سوى لحظاتٍ حتى تمكَّن «أحمد» منه، ووقع الرجل على الأرض، وأمسكه «أحمد» من ذراعه وثناه خلف ظهره، وفتَّشه بيده الأخرى. لم يكن يحمل سلاحًا أو أيَّ أداةٍ أخرى، عند ذلك تركه «أحمد»، فاعتدل الرجل، ونظر إلى الصديقَين نظرة خوفٍ ودهشة.

كان رجلًا في حوالي الأربعين من عمره، يرتدي ثيابًا قديمةً واسعةً عليه بعض الشيء، وقبَّعته التي طارت من على رأسه كانت تبدو أقدم. وكان يمسك زجاجةً ملفوفةً في كيسٍ قديم، وقعَت منه عند سقوطه. وتكلَّم الرجل وهو يلهث ويلتقط أنفاسه بصعوبة: لم أفعل شيئًا. إنني لستُ الرجل الذي ضربك على رأسك.

بو عمير: هل رأيتَ الرجل الذي ضربني؟

الرجل: نعم رأيتُه، ورأيتُ السيارة التي هرب بها أيضًا.

بو عمير: هل التقطتَ رقم السيارة، أو ماركتها، أو لونها؟

الرجل: لا، لم أتمكَّن من ذلك، ولكنني أعتقد أنني أعرف هذا الرجل.

نظر «بو عمير» إلى «أحمد» الذي قال: ما اسمُه وكيف تدلُّنا عليه؟

الرجل: هذا الرجل معروفٌ في هذه المنطقة، مع مجموعةٍ من الرجال يعملون معًا، ولكنني لا أعلم ما هو عملهم بالتأكيد، ولكنه يرتاد حانةً قديمةً في الحي الجنوبي، تُسمَّى «حانة القرصان». وإنني أراه هناك بصفةٍ منتظمةٍ ومعه مجموعةٌ من الرجال الذين قلتُ لكم عليهم، ولكنه انقطع منذ حوالي ثلاثة أسابيع عن زيارة الحانة، وكذلك أصدقاؤه.

قال «أحمد»: أعتقد أننا سنصدِّقك ونتركك في سلام. وسوف أعطيك خمسين دولارًا، ترتفع إلى مائة، إذا استطعتَ أن تدُلَّنا على هذا الرجل في أول فرصةٍ تراه فيها. وسأترك لك رقم تليفوني، تتصل بي إذا كان عندك أية أخبار ... ومدَّ «أحمد» يده في جيبه وأخرج ورقةً مالية من فئة الخمسين دولارًا أعطاها له.

لم يصدِّق الرجل عينَيه والورقة تتهادى في الهواء في طريقها إلى صدره وهو ملقًى على الأرض. وكتب «أحمد» رقم التليفون وتركه للرجل، مُكرِّرًا وعده له بالمبلغ، إذا أبلغهم بمكان الرجل المجهول.

ترك الصديقان الرجل، وانطلقا إلى السيارة وركباها في طريق العودة إلى مقرِّ الشياطين، في حي «أسترال» بلدج. وعندما دخلا كان باقي الأصدقاء قد ناموا والمقرُّ هادئ.

في الصباح كانت «إلهام» و«زبيدة» أول من استيقظ فجهَّزتا طعام الإفطار، في حين انتهى الشياطين الثلاثة من ارتداء ملابسهم.

وتجمَّع الأصدقاء في حجرة الطعام، وتبادلوا تحية الصباح، وقصَّ «بو عمير» ما حدث ليلة أمس. وأثار وجود «فريدة» في «واشنطن» دهشة الأصدقاء.

وقطع حديث الأصدقاء جرسُ الباب، فقام «قيس» ليرى مَن القادم، الذي لم يكن سوى «ستيف» الأسمر، فحياهم وشاركهم طعام الإفطار.

بعدها انتقل الأصدقاء إلى غرفة المعيشة، وتوجَّه «أحمد» إلى غرفة جهاز الاستقبال، وبعدها عاد إلى الأصدقاء، وطلب من «ستيف» أن يُعِدَّ له كل المعلومات الممكنة عن شركة بعنوان «الدولية للصناعات» وحانة «القرصان» وأية معلوماتٍ عنهما ...

أمسك «ستيف» الورقة التي كتَب فيها «أحمد» المعلومات التي يريدها، وقرأها، وترك الأصدقاء وتوجَّه إلى التليفون.

وبعد عشر دقائق عاد «ستيف» يحمل ورقةً كَتب عليها بعض المعلومات، وأعطاها لـ «أحمد» الذي شكَره، وتوجَّه «ستيف» ليغادر المنزل على أن يتصل بهم في المساء.

وخرج «ستيف» وبدأ «أحمد» يقرأ الورقة على الأصدقاء:

«الشركة الدولية للصناعات» نشاطها واسعٌ في مجالات الاستيراد والتصدير، والأجهزة الكهربائية، والإلكترونية، والكيماوية، ويمتد حتى في مجال لُعب الأطفال. وهي شركةٌ مضمونة، بعيدةٌ عن أية شُبهات. تقاريرها نظيفةٌ حتى لدى البوليس والضرائب. رئيس مجلس إدارتها مستر «وندرهاند» في إجازة منذ أسبوع، سافر فيه إلى «سان فرانسيسكو» ليحضُر هناك مؤتمرًا اقتصاديًّا، ويخلُفه رجلٌ يُدعى «فرانك مالكولم». والشركة تحتفل اليوم بعيدها السنوي العاشر، وتقيم مسابقةً لأحسن طيارٍ شراعيٍّ في مطارٍ خاص بالشركة، وضيوف الشرف من الضباط الذين اشتركوا في حرب «فيتنام». أما حانة «القرصان» فهي حانةٌ رخيصة، مستواها متواضع، يرتادها بعض العاطلين وصغار العمال، وبالطبع بعض المنحرفين من الخارجين على القانون.

انتهى «أحمد» من قراءة الورقة، ونظر إلى الأصدقاء.

قال «قيس»: إنه من الذكاء أن تتخفَّى إحدى منظمات «المافيا» خلف ستار هذه الشركة المُسالمة النظيفة.

ردَّ «أحمد»: فعلًا ... ولكن كيف نبدأ احتكاكنا بهذه الشركة للتوصل إلى مكان الدكتور «فريد»؟

سكت الأصدقاء بُرهةً، وردَّ «بو عمير»: أعتقد أنه يجب أن نقسم أنفسنا إلى قسمَين؛ قسم يذهب إلى حفلة الشركة في المطار، وقسم آخر يهتَم بحانة «القرصان»!

قال «أحمد»: معقول ... ولكني أفضِّل أن ننتظر مكالمة الرجل الذي طاردناه ليلة أمس؛ فسوف تكون أكثر فائدةً لنا.

وافق الأصدقاء على رأي «أحمد». وفعلًا قَسَّم المجموعة إلى قسمَين، فسوف يذهب هو و«قيس» و«إلهام» إلى الاحتفال، في حين يظلُّ «بو عمير» و«زبيدة» في المنزل في انتظار مكالمة الرجل التليفونية. بعد ذلك، قام الأصدقاء فغيَّروا ملابسهم استعدادًا للذهاب للشركة.

استقلَّ الشياطين الثلاثة السيارة البرتقالية الصغيرة، وتولى «أحمد» القيادة، وتوجَّهوا إلى الحفل. وعندما وصلوا وجدوا عددًا كبيرًا من الزوار، وذهب «قيس» واشترى ثلاث تذاكر للدخول.

كان هناك العديد من الموائد التي جلس عليها المدعوُّون، من رجال الأعمال وبعض العائلات. وكان هناك أيضًا مائدةٌ خاصة لزوَّار الشرف من ضباط حرب «فيتنام»، وكان يتوسَّط المائدة بعضُ أعضاء مجلس إدارة الشركة.

أخذ الشياطين الثلاثة يطوفون بأرجاء المعرض الذي يُقام فيه الحفل، وبعد ذلك أعلن الميكروفون أن الحفل سوف ينتقل إلى المطار، لكي يتم اختيار أحسن طيار، وسوف تكون جائزة الفائز عقدًا مع الشركة لقيادة إحدى طائراتها، التي تُستعمل في أغراض الدعاية.

عند ذلك قال «أحمد»: سوف أشترك في المسابقة!

ردَّت «إلهام»: ولكن ...!

وقبل أن تكمل حديثها، قال «أحمد»: أعتقد أنها أحسن طريقة لدخول الشركة، لو أنني فُزت بهذه المسابقة.

وفعلًا قام «أحمد» من مكانه، وتوجَّه إلى الغرفة التي يُسجِّل فيها المتسابقون أسماءهم. وكان المتسابقون ثمانية، وكان «أحمد» آخر من ضم اسمه إلى القائمة، وعندما أُعلن عن أسماء المشتركين، ارتفعَت بعض الهمهمات، عندما قال منظِّم المسابقة إن آخر المتسابقين ... «عربي».

بدأَت المسابقة، وكان أول المتسابقين قد بدأ يأخذ مكانه على متن الطائرة المخصَّصة للمسابقة، وهي طائرةٌ أمريكيةٌ صغيرة، زرقاء اللون، وتحمل اسم الشركة باللون الأصفر. وبدأَت محرِّكاتها في الدوران، واتجه بها قائدها إلى ممرِّ الإقلاع استعدادًا للطيران.

في هذا الوقت في المقر، كان «بو عمير» و«زبيدة» يجلسان أمام رُقعة الشطرنج، وكلٌّ منهما يقدح زناد فكره؛ لأن «بو عمير» كان يعلم جيدًا بأن «زبيدة» منافِسةٌ قويةٌ. وقبل أن يُحرِّك «بو عمير» الوزير لحصار الملك، رنَّ جرس التليفون، فجرى إليه «بو عمير»، وكان محدثه — كما توقع — الرجل الذي طارداه في الحديقة ليلة أمس، كان يتحدث بسرعة إلى «بو عمير» قائلًا: ألا تذكُرني؟

بو عمير: بالطبع أذكُرك، هل وجدتَ الرجل؟

الرجل: نعم وجدته، ولكن هل أنت عند وعدك، بخصوص الخمسين دولارًا الأخرى؟

بو عمير: نعم عند وعدي!

الرجل: حسنًا ... قابلني الساعة التاسعة مساءً في شارع «ملبوري»، وسوف أدلك على مكانه. وصمت لحظةً ثم قال: سوف أُضطَر لغلق السماعة الآن؛ فبعضهم قادمٌ نحو كابينة التليفون.

اغتيال ... في شارع «ملبوري»!

كانت عجلاتُ الطائرة تُلامس أرض المطار برشاقة، وعلا تصفيق المشاهدين، للمهارة التي أظهرها المتسابق السادس في فنون الطيران، وهو شابٌّ من ولاية «فلوريدا». ونزل من الطائرة يردُّ على تحية الجماهير، وتوجَّه إلى المكان الذي يجلس فيه «أحمد». وعندما وصلَه قال له: هل أعجبك ما قمتُ به؟

ردَّ «أحمد»: حقًّا، لقد كان شيئًا رائعًا!

قال الفتى: حسنًا، أرنا ما يمكن أن تقوم به، أيُّها العربي.

قال الفتى هذه الجملة في سخريةٍ من «أحمد»، الذي كبَت غضبه، ولم يردَّ عليه، كي لا يفسد خطته.

في هذه الأثناء، كان المتسابق السابع يُحلقُ في الفضاء بالطائرة في حلقاتٍ بديعة، وكان «أحمد» يراقبه، وينتظر دوره. عند ذلك تقدَّم إليه رجل، وطلب منه أن يصحبه لكي يرتدي ملابس الطيران.

عندما وقف «أحمد»، قال لـ «إلهام» و«قيس»: أرجو أن تدعُوَا لي بالتوفيق؛ فأكثرهم يظن أننا ما زلنا نركب الجِمال، ولا نستطيع قيادة طائرة.

شدَّت «إلهام» على يد «أحمد»، وقالت له: الله معك وسوف يوفِّقك ... وابتسمَت له.

أما «قيس»، فقد ضربه بقبضة يده على كتفه، ضربةً حانية، ليرفع من روحه المعنوية.

ذهب «أحمد» إلى مكان العرض. وعند ذلك، كان المتسابق السابع يُهدِّئ من سرعة طائرته على أرض المطار، معلنًا انتهاء العرض الذي قام به. بعدها توجَّه «أحمد» إلى الطائرة، وكل المشاهدين يُحملِقون فيه متعجبين، هل هناك فعلًا عربيٌّ يستطيع أن ينافس في مثل هذه المسابقة الفنية؟

بدأ «أحمد» في زيادة سرعة الطائرة على الأرض، ثم ارتفع بعجلاتها من على ممرِّ الإقلاع، وبدأ عرضه الذي ينتظره جميع المشاهدين.

بدأ أولًا في صُنع حلقاتٍ هوائية، فجعل جناحَي الطائرة يلفَّان كالمروحة في سرعةٍ كبيرة، ثم بدأ يرتفع وبسرعةٍ قصوى، حتى بلغ ارتفاعًا شاهقًا، ثم أبطل محرِّك الطائرة، فهبطَت بقوة تُصدِر صفيرًا عاليًا.

كانت الطائرة تتهاوى كحجر ألقاه طفل من قمةٍ عالية، والجميع يشاهدونها وهي تهبط كالصخرة، حتى ظن البعض بأن قائد الطائرة قد فقد السيطرة عليها، وما هي إلا لحظات حتى يلقى حتفه، ولكن «أحمد» قبل أن تصطدم طائرته بالأرض بعشرات المرات، أدار محركها مرةً أخرى، وارتفع بها قليلًا، وطار محاذيًا للأرض على ارتفاع لا يزيد عن خمسة أمتار، حتى انتزع تصفيقًا حادًّا، لم يحصل عليه أحد من المتسابقين الذين طاروا قبله. وبعد عدة دورات، عاد «أحمد» إلى الأرض، وعندما فتح باب الطائرة، لم يصدِّق بأن التصفيق الذي يسمعه له هو، وبتواضعٍ رفع يده ليحيِّي المشاهدين.

وبعدها نزل، وخلع ثياب الطيران، وتوجَّه إلى مقعده بين «قيس» و«إلهام»، اللذَين استقبلاه بتصفيقٍ حاد.

وقال له «قيس»: كنتُ متأكدًا من أنك ستقوم بأجمل العروض جميعًا.

وقالت «إلهام»: قلتُ لك، إن الله سيكون معك.

عند ذلك، وجد «أحمد» الشاب الأمريكي الذي كان يتقدَّمه في المسابقة، يقف أمامه قائلًا: اسمح لي أن أُصافحك، وأشيد بمهارتك؛ فلم أكن أتصوَّر أن أي عربي يمكن أن يقوم بهذه الألعاب الانتحارية، التي قمتَ أنت بها الآن.

وقبل أن يردَّ «أحمد»، كان الفتى قد أعطاه ظهره وذهب. وعند ذلك، أعلن منظِّم المسابقة في الميكروفون، بأن جميع حُكام المسابقة قد أجمعوا بأن الفائز هو رقم ثمانية. وعلت الموسيقى تعزف ومعها تصفيق المشاهدين، وجاء رجلٌ شديد الأناقة وبجانبه فتاةٌ تحمل شهادة تقدير أعطاها لـ «أحمد» وطلب منه أن يرافقه إلى منصة الشرف.

كان سرور «أحمد» بفوزه في المسابقة قويًّا؛ لأن خطته قد نجحَت، وحانت فرصته للدخول في كواليس هذه الشركة لمعرفة نشاطها. وعندما وصل «أحمد»، وجد رجلًا في حوالي الخمسين من العمر، طويل القامة، يجلس في وسط المائدة. استنتج «أحمد» على الفور أنه «فرانك مالكوم»، نائب المدير «وندرهاند»، الذي سافر إلى سان فرانسيسكو.

قال له «فرانك»: إن الشركة يُسعِدها أن تتعاون مع شابٍّ ناجحٍ مثلك، فهل تقبل أن تقود طائرة الشركة، وتطوف بها سماء ولاية «واشنطن»؟!

فقال «أحمد»: بالطبع!

قال الرجل: إذن أراك بعد الحفل؛ فهناك موضوعاتٌ أحب أن أناقشها معك!

ردَّ عليه «أحمد»: اتفقنا!

ذهب «أحمد» إلى حيث كان «قيس» و«إلهام»، وأبلغهما بما حدث.

وقال لـ «قيس»: اذهب إلى السيارة في الخارج، وتابِع في جهاز الاستقبال ما سيحدث من مناقشات. أما «إلهام» فإنها تعود بسيارة تاكسي إلى المقر، بعد الحفل، لترى إذا كانت ثمة أخبارٌ جديدةٌ، أو تطوراتٌ بخصوص «حانة القرصان»!

كانت الساعة قد قاربت السابعة والنصف في المقر، و«بو عمير» و«زبيدة» لم تصلهما أي أخبار عن «أحمد» و«قيس» و«إلهام». وعند ذلك، قرَّر «بو عمير» أن يذهب إلى شارع «ملبوري»، حيث موعده مع الرجل الذي حدَّثه تليفونيًّا، وفعلًا اتجه إلى غرفته، وفتح دولاب ملابسه وأخرج حقيبةً متوسطة الحجم، حافلةً بأشكالٍ مختلفةٍ من الأسلحة الصغيرة، من خناجر ومسدسات، حتى أنواعٍ متوسطة من الرشاشات. فاختار «بو عمير» منها مسدسًا ضخمًا، من طراز «سميث وين»، لامعًا، بقبضةٍ عاجية، وملأ خزانته بالرصاص، ووضع بعض الطلقات في جيبه، وارتدى الحزام الحامل للمسدس، وارتدى عليه جاكت سبور، وأعاد الحقيبة إلى مكانها، ونظر إلى نفسه في المرآة، وتأكد من أن المسدَّس غير ظاهرٍ في مكانه.

وخرج «بو عمير» إلى غرفة المعيشة حيث كانت «زبيدة» تقرأ كتابًا، وقال لها إنه سيذهب بمفرده إلى شارع «ملبوري»، وعليها هي أن تنتظر لتلقِّي أي أخبارٍ من رقم «صفر»، أو من بقية الأصدقاء الذين ذهبوا إلى الحفل. فوافقت «زبيدة».

غادر «بو عمير» المقر، واتجه إلى السيارة، وكانت إيطالية سبور صغيرة لونها فضي، من طراز «ألفا روميو» أُعجب بها «بو عمير» وبإمكانياتها المتقدمة. كانت المسافة بين مقرِّ الشياطين وشارع «ملبوري» تحتاج لنحو ٤٥ دقيقة. عرف «بو عمير» ذلك، من الخريطة الضوئية الواضحة الموجودة في السيارة. وأدار «بو عمير» المحرِّك، وبدأ رحلته إلى شارع «ملبوري»، في حين بدأَت آخر أضواء النهار في الرحيل، وبدأَت أنوار الشارع تُضاء.

في ذلك الوقت، كانت «إلهام» قد استقلَّت سيارة تاكسي في الطريق إلى المقرِّ مرةً أخرى، بينما عاد «قيس» إلى السيارة وفتح جهاز الإرسال وتحدَّث إلى «زبيدة» التي أبلغَته بالمكالمة التليفونية التي دارت بين «بو عمير» والرجل، والموعد الذي اتفقا عليه. وأحسَّ «قيس» بالقلق، ولكنه كان على يقينٍ من أن «بو عمير» أحسن من يتصرف في المآزق الخطيرة. وبعد

ذلك، حاول «قيس» الاتصال بـ«بو عمير» في السيارة، إلا أن المسافة التي كانت بينهما كانت أبعد من أن يستطيع جهاز الاستقبال أن يلتقطها. حاول ذلك مرةً أخرى دون جدوى، في حين كان «بو عمير» قد قطع تقريبًا أكثر من ثلثَي المسافة، ووصل إلى الحي الذي يقع فيه شارع «ملبوري»، وهو حيٌّ هادئٌ جدًّا، لا ترتاده الكثير من السيارات، إلا سيارة عابرة بين لحظة وأخرى. وبعد أن تأكد «بو عمير» من المكان بواسطة الخريطة، بحث عن الشارع فوجده شارعًا غير نظيف مُظلمًا تقريبًا، إلا أن «بو عمير» كان على استعداد أن يذهب إلى آخر الدنيا في سبيل أداء واجبه.

كان وصول «بو عمير» إلى الشارع سابقًا لموعده بحوالي ربع ساعة، قضاها في السيارة، والصمت مخيمٌ على أرجاء المكان حوله، والدقائق تمُرُّ ثقيلةً بطيئةً. وكان «بو عمير» يُراقب عقرب الساعة في يده، وكأنه يحثُّه على أن يسير بسرعةٍ أكبر. وقطع هذا الصمتَ الثقيل وصولُ سيارة أُجرة صفراء في نهاية الشارع، وقفت لحظات، ثم أكملَت طريقها، بعد أن نزل منها الرجل الذي حدَّثه تليفونيًّا في المقرِّ. وقف الرجل لحظاتٍ ينظر حوله، فأضاء «بو عمير» أنوار السيارة الأمامية حتى يتبيَّن الرجل مكانه، فأسرع الرجل الذي كان يرتدي نفس ثيابه القديمة المهلهلة إليه، وعندما أقبل سأل «بو عمير» الذي نزل من السيارة: أين الخمسين دولارًا؟

ابتسم «بو عمير» ومدَّ يده في جيبه، وأخرج حافظته وأخرج منها ورقة الخمسين دولارًا، فمدَّ الرجل يده ليأخذها، فأبعدها «بو عمير» عنه.

فقال الرجل: حسنًا، الرجل الذي ضربك على رأسك يُدعى «مايكل» الأخرس؛ لأنه لا يتكلم كثيرًا، وهو يعمل سائق شاحنةٍ تحمل اسم «الشركة الدولية للصناعات»، ولكنني لم أتوصل إلى عنوان مسكنه.

ومدَّ يده واختطف ورقة الخمسين دولارًا، وفردها أمام عينَيه، وضحك.

وعند ذلك، وفي بداية الشارع، انحرفَت سيارةٌ مسرعة، علا صوتُ عجلاتها فمزَّق الصمتَ في المكان، وأقبلَت مسرعةً كحيوانٍ متوحشٍ طليق، في اتجاه «بو عمير» والرجل.

لم يطمئن «بو عمير» لذلك، فمدَّ يده وأمسك بقبضة مسدَّسه، ولكنه لم يخرجه، وفعلًا ظهر رجلٌ من نافذة السيارة، ومعه مِدفعٌ رشاش، وبدأ في إطلاق النار في اتجاه «بو عمير»، والرجل الواقف الذي سقط على الأرض فورًا. كما أحَسَّ «بو عمير» بحرارةٍ شديدة في كتفه اليسرى، فعرف أنه قد أُصيب أيضًا.

حدث ... في وقتٍ قصير!

انبطح «بو عمير» بجانب الرجل الذي لم ينطق بكلمة، فعرف «بو عمير» أنه قد فارق الحياة. توقَّفَت السيارة في نهاية الشارع، ولمَعَت أنوارها الحمراء الخلفية، وبدأَت تستدير للعودة مرةً أخرى إلى «بو عمير»، الذي كان يفكر بسرعةٍ كبيرة، وعرف أن السيارة ستعود لتُهاجمه، فأسرع بالاختباء تحت عَجلات سيارته، التي لم تَسلَم من طلقات المدفع الرشاش. وبدأَت السيارة الأخرى في الاقتراب بسرعةٍ مرةً أخرى، فارتمى «بو عمير» أمامها، وبمهارته المعروفة في إطلاق الرصاص أطلق رصاصةً واحدة، استقرت في قائد السيارة، التي أسرعَت كفيلٍ مذعور، تجري في كل اتجاه، حتى اصطدمَت بجانبها في أحد الأعمدة، وانقلبَت واستقرَّت على ظهرها.

مرَّت لحظاتٌ بطيئةٌ قبل أن يفتح الباب الخلفي، ويخرج منه أولًا مدفع رشاش، ثم بدأ جسم رجلٍ ضخمٍ يخرج من تحت أنقاض السيارة، ووقف، وكأنه لا يُصدِّق نفسه أنه خرج حيًّا من هذه الحادثة المروِّعة. وفجأةً، نظر الرجل ناحية «بو عمير»، وانحنى ليلتقط المدفع الرشاش، ولكن طلقة من مسدس «بو عمير» كانت أسرع منه، واستقرت في يده اليمنى. وقبل أن يطلق «بو عمير» رصاصته الثانية، انحنى الرجل واختبأ خلف السيارة المقلوبة؛ ليحتمي بها من رصاص «بو عمير» المحكم.

فكَّر «بو عمير» قليلًا، هل يذهب للرجل؟

لكن الإجابة كانت أسرع من السؤال.

ثم ردَّ الرجل على «بو عمير» بطلقةٍ نارية، مرَّت من فوق رأسه، فارتمى جانبًا ليحتمي بحائطٍ صغير. وعندما بدأ «بو عمير» يشعر بآلام الجرح في كتفه اليسرى، تحسَّس بيده اليمنى كتفه، فوجد ملابسه مبتلة. وعرف أنه ينزف باستمرار، ومن الأفضل أن يُسرع

في التخلص من هذا الرجل الضخم، الذي لم يكُف بين لحظةٍ وأخرى عن إطلاق نيران مسدسه.

تأكَّد «بو عمير» أن محاولة الانقضاض على الرجل ستكون انتحارًا؛ فقد كان الرجل مختفيًا في ركنٍ بينما هو واضحٌ في نور الشارع؛ فليس هناك سبيلٌ واحدٌ لخروج هذا الرجل من مخبئه سوى طريقةٍ واحدة.

بدأ «بو عمير» ينفِّذ خطَّته، فجلس على ركبته وركَّز نظره جيدًا، ومن خلال الأضواء الخلفية الحمراء للسيارة المقلوبة، وجَّه فُوَّهة مسدَّسه إلى خزَّان بنزين السيارة. وأطلق أول رصاصة، فاستقرت في الهيكل، وأطلق الثانية، وانتظر قليلًا، فسمع وسط الهدوء خرير البنزين على الأرض.

عرف الرجل بمحاولة «بو عمير» فبدأ يُطلِق رصاصه بطريقةٍ جنونية. وانتظر «بو عمير» لحظةً، ثم أطلق رصاصته الثالثة التي قلبَت الليل في شارع «ملبوري» إلى نهار مرةً أخرى، فحوَّلَت السيارة المقلوبة إلى كتلةٍ من لهب، فما كان من الرجل إلا الجري هربًا بحياته من جهنم التي صنعها له «بو عمير»، وأسرع يعبُر الطريق إلى الناحية الأخرى، وكانت تُتابعه في جريه فُوَّهة مسدس «بو عمير»، الذي انطلقَت منه رصاصةٌ واحدة. بعدها، لم يستطع الرجل أن يكمل جريه؛ فقد سقط يترنَّح.

تحامل «بو عمير» على نفسه حتى وصل إلى سيارته، ووضع نفسه فيها وهو يشعر بآلامٍ مُبرِّحة، بدأَت تسري في كل جسده، وأدار المحرك، ثم بدأ يقود ببطءٍ في اتجاه المقر.

في هذا الوقت، كان «قيس» يجلس في السيارة خارج مقرِّ الشركة التي بها «أحمد»، وهو يتابع الحديث الدائر بين «أحمد» وبين الرجال الذين قابلوه في الشركة، وهم يعرضون عليه عملًا مجزيًا، بعد إعجابهم بمهارته في الطيران. وقبل أن ينتهي الحديث قال له المدير «فرانك مالكوم» إنه إذا أظهر «أحمد» تعاونًا معهم فسوف يكلِّفونه بعملٍ للشركة في إحدى البلاد العربية، في مجال أعمال الطيران.

ساورَت «أحمد» الشكوكُ بعد سماعه هذا العرض، ولكنه أظهر سعادةً بالغة، وأعلن أنه سوف يكون على أتم استعدادٍ لذلك. وقبل أن تنتهي المقابلة، طلب «أحمد» الذهاب إلى دورة المياه قبل أن يخرج. وفعلًا ذهب إلى دورة المياه، وفيها اتصل بـ «قيس» في السيارة.

وقال له: «قيس»، بعد خمس دقائق سوف أخرج من الشركة واستقل سيارة أجرة، لا تُظهر أنك تعرفني، وإنما لاحظ إذا كنتُ مراقبًا أم لا؟ وكن على اتصالٍ بي، وقابِلني عند المدخل الخلفي لفندق «أمريكانا».

ردَّ «قيس»: سأكون هناك في الموعد.

وفعلًا بعد خمس دقائق كان «أحمد» يخرج من الباب الزجاجي الخارجي للشركة.

ثم أشار لسيارة تاكسي ركبها وانطلقَت به وكانت شكوكه في محلها؛ فلم تمضِ لحظاتٌ حتى انطلقَت في أثره سيارة «بونتياك» صفراء، يركبها رجلان؛ أحدهما يرتدي نظارةً شمسيةً كبيرةً داكنة، وخلفهم انطلق «قيس» بالسيارة.

وبعد رُبع ساعة، وصل «أحمد» إلى فندق «أمريكانا» وهو فندقٌ ضخمٌ حديث، وتوجَّه إلى الاستعلامات وقام بحجز غرفةٍ له. وبعد أن صَعِد إلى غرفته التي كانت في الطابق السادس والعشرين وتطلُّ على المدينة في منظرٍ رائع، راقب «أحمد» منافذ الحجرة، وشاهد الحمَّام المرفق بها، وفتحة التكييف، فتأكَّد من أنه غير مُراقب.

اتصل بـ «قيس» الذي ينتظره عند المدخل الخلفي للفندق، وسأله عن أحوال الرجلَين اللذين يتبعانه، فردَّ عليه «قيس»: إنهما موجودان في السيارة، ولكن في هذه اللحظة نزل أحدهما وتوجَّه إلى الاستعلامات.

مرت دقائق، وخرج الرجل بعدها ترتسم على وجهه علامات الارتياح، وركب السيارة وانطلقَت؛ فقد تأكد من أن «أحمد» لم يخدعهم، وأن اسمه حقيقيٌّ من واقع سجلَّات الفندق. وكذلك اطمأن «أحمد» و«قيس» أن الخطة قد نجحَت، فأسرع إلى «قيس» الذي كان ينتظره. وعندما وصل ابتسم كلٌّ منهما للآخر؛ فقد نجحت خطة «أحمد». وبدأ الاحتكاك بالشركة، وخاصةً ما قاله «فرانك مالكوم» عن المهمة التي سوف يؤديها في الشرق الأوسط؛ فقد تكون على علاقة باختراع العالِم «فريد عبد الله».

سأل «أحمد» «قيس»: هل معنى ذلك، أنهم قد حصلوا فعلًا على المعادلات الخاصة بالاختراع؟ وهل وقع العالم «فريد» في أيديهم؟

قال له «قيس»: أظنُّ ذلك، وإلا فما هي طبيعة مهمتك في هذا البلد العربي؟

ثم ضحك وقال: إنهم يرون فيك صيدًا ثمينًا؛ فأنت عربي، وبالطبع سوف تُسهل لهم مهمتهم في الوطن العربي، وما قمت به كان ذكيًّا جدًّا لاكتساب ثقتهم فيك.

كانت «إلهام» قد وصلت منذ مدة إلى مقرِّ الشياطين في «إسترال بلدج»، وقد بدأ القلق يساورها على «بو عمير» الذي قد تأخر جدًّا، فقد تجاوزت الساعة العاشرة والنصف ولم يصل عنه أي خبرٍ.

فقررت أن تتصل بـ «قيس» و«أحمد» في السيارة وتسألهما عن «بو عمير».

ردَّ عليها «أحمد»، وأبلغها بما حدث في المسابقة: وعندما نقلَت له قلقها من أجل تأخر «بو عمير» طمأنها «أحمد» وأخبرها أنهما في الطريق إليها.

عاودَت «إلهام» الاتصال بـ «بو عمير» في السيارة لكن دون جدوى؛ فهي لم تكن تعلم بأن جهاز الإرسال والاستقبال في السيارة لم يَسلَم من طلقات الرصاص. ذهبَت «إلهام» مع «زبيدة» إلى شُرفة المنزل، تُراقب السيارات القادمة، علَّها تجد سيارة «بو عمير». ومضت الدقائق بطيئة، قبل أن يصل «بو عمير» بسيارته الفضية الصغيرة، التي سرعان ما عرفَتها. فأسرعَت هي و«زبيدة» إلى الباب للقائه ومعرفة ما حدث، ولكن «بو عمير» لم يصعد وتأخر، فأسرعَت «إلهام» إلى السيارة لرؤيته، فوجدَته منكفئًا على عَجلة القيادة وقد غاب عن وعيه.

تطورات سريعة!

عندما وصل «أحمد» و«قيس» إلى المقر، كانت «إلهام» و«زبيدة» قد قامتا باستخراج الرصاصة من كتف «بو عمير»، الذي كان لا يزال تحت تأثير المخدر، فسألها «أحمد»: ما مدى إصابته يا «إلهام»؟

ردَّت «إلهام»: استقرت الرصاصة في عضلات الكتف، لكنه نزف كثيرًا.

وقالت «زبيدة»: حمدًا لله أنه لا يزال حيًّا؛ فالرصاصة من مدفعٍ رشاش.

وبعد لحظات، انطلقَت صفارة جهاز الإرسال المتقطعة، لتعلن وصول رسالة من رقم «صفر» إلى الشياطين، وبدأ «قيس» في تلقي الرسالة التي كانت تقول:

أعتقد أن العالِم «فريد» قد وقع فعلًا في أيدي العصابة؛ فمنذ قليل، تلقت إحدى البلاد العربية البترولية، تهديدًا من المنظمة التي حدثتُكم عنها، لابتزاز مبلغ ٣٠٠ مليون من الجنيهات وإلا تعرَّضَت شخصيةٌ كبيرةٌ لنوعٍ من السيطرة الذهنية عن طريق العصابة، يمكن أن تؤدي إلى كارثةٍ حقيقيةٍ لهذا البلد، والبلدان المجاورة ... وهذا يؤكد، أن العالِم «فريد» قد اضطُر إلى تسليم معادلاته للعصابة، تحت كل ظروف الضغط التي استُخدمَت ضده ... فما هي آخر التطوُّرات عندكم ... وهل توصلتم لشيءٍ عن هذا الموضوع؟

تولى «قيس» شرح الموقف لرقم «صفر»، في حين خرج باقي الشياطين إلى حجرة «بو عمير» الذي بدأ يفيق من تأثير المخدر، وبصعوبة بدأ يحكي ما حدث، منذ مقابلته مع الرجل، فسأله «أحمد»: هل تظن أن الرجل قد وشى بك إلى الأخرس؟

ردَّ «بو عمير»: لا أظن ذلك، ولكنني أعتقد أنه قام بتحرِّيات، جعلَت «مايكل» يشُك فيه، مما أدى إلى مراقبته ومحاولة قتلي معه!

قال له «أحمد»: على كل حالٍ يجب أن نسرع قليلًا؛ فأعتقد أن العالم «فريد» قد سلَّم اختراعه إلى المنظَّمة فعلًا.

ردَّ «بو عمير»: كيف ذلك؟

ردَّت إلهام»: هناك تطوُّرات تدُل على هذا!

قال «أحمد»: أعتقد أننا نسينا شيئًا هامًّا لم نُعِره اهتمامًا كافيًا؟

بو عمير: ما هو؟

ردَّ «أحمد»: المكان الذي رأيت «فريدة» فيه ليلًا! لم نسأل أنفسنا، ماذا كانت تفعل في هذا المكان!

صمت قليلًا ثم قال: ربما خُبِّئَت «فريدة» في هذه الفيلا، التي كانت السيارة أمامها.

قال «بو عمير»: ممكن جدًّا.

قال «أحمد»: إذن، فأظن أنه من الأفضل أن نضع الفيلا غدًا صباحًا تحت المراقبة، التي تتولاها «إلهام» و«زبيدة»؛ فالعصابة لن تشُك في فتيات محل «روي».

ثم قال: إذن، فالأفضل أن تتوجَّها غدًا إلى المراقبة، وسوف أُضطَر أنا الآن إلى التوجُّه مرةً أخرى إلى فندق «أمريكانا»، حيث أقضي ليلتي هناك؛ فربما اتصلَت بي الشركة غدًا.

نزل «أحمد» واستقلَّ تاكسيًا إلى فندق «أمريكانا»، ولكنه نزل على مبعدةٍ منه، ونظر إلى المكان جيدًا فلم يجد ما يشُك فيه. وعلى سبيل الاحتياط، فقد توجَّه إلى الداخل من الباب الخلفي، وصَعِد إلى غرفته، فوجدها كما هي.

فخلع حزامه الذي علَّق فيه مسدسه وجهاز الإرسال والاستقبال، ووقف قليلًا في الشرفة يراقب المدينة في الليل حتى غلبه النُّعاس فنام.

في الصباح الباكر، اتصل «ستيف» بالشياطين في المقر، فطلبَت منه «إلهام» أن يهيِّئ لها و«زبيدة» عملًا، في محل «روي» الموجود في حي «مديسون».

وفعلًا في التاسعة صباحًا توجَّهَت «زبيدة» و«إلهام» إلى المحل، ولبستا ثياب العاملات فيه، وكان عملهما يقتصر على خدمة عملاء السيارات، الذين يأتون إلى المحل بعرباتهم، ويتناولون الطعام فيها، لكي تسهل عملية مراقبة الفيلا المقابلة للمحل.

وحتى الساعة الحادية عشرة لم يحدُث في الفيلا ما يثير الشكوك، حتى جاءت سيارة كاديلاك سوداءُ كبيرة، نزل منها سائقها، ورجلٌ آخر يجلس بجانبه، ضخم الجسم، يرتدي بدلة سوداء، ويظهر انتفاخٌ في جانبها الأيسر، مما يدل على أنه يحمل مسدسًا ضخمًا. وفتَح الباب الخلفي، فنزل منه رجلٌ قصير القامة، يرتدي بدلةً رمادية اللون، وقبعةً من نفس لون البدلة، ونظارةً شمسيةً.

ولفت نظر «إلهام» أنه يضع يده في جيب سترته بصفةٍ دائمة، فلم تشُك لحظة أنه مستر «وندرهاند» زعيم المنظمة. وتوجَّه الرجلان إلى داخل الفيلا، في حين ظل السائق أمام الباب ليرقُب الموقف في الخارج.

في ذلك الوقت، كانت سيارة قد مرت على «أحمد» في الفندق، وأوصلَته إلى مقرِّ الشركة، الذي صُمم كله من الخارج من الزجاج، فأصبح ككتلةٍ من الذهب تحت أشعة الشمس. وتوجَّه «أحمد» مع مرافق إلى الداخل حيث يقع مكتب المدير «فرانك مالكوم»، الذي قابله بحرارةٍ شديدة، وأخبره أن هناك تطوراتٍ تستدعي سفره اليوم إلى «نيويورك» مع بعض رجال الشركة، ليشترك في المهمة التي اتفقوا عليها في الشرق الأوسط، فعرف «أحمد» أنهم على وشك تنفيذ تهديدهم، وأنه سوف يصبح أداة المنظمة في تنفيذ وعيدها.

أظهر «أحمد» سعادةً بالغةً بذلك، وقال إنه سوف يكون جاهزًا للسفر في الموعد الذي ستُحدِّده له الشركة.

قال «مالكوم»: سوف تغادر الطائرة إلى «نيويورك» في الخامسة مساء. وفي الطريق سوف توضَّح لك أكثر، شكل مهمتك ... التي ستقتصر في الأغلب، على تشكيل نوعٍ من الاستعراض الجوي في سماء دولةٍ عربيةٍ، كنوعٍ من الدعاية للشركة، وإلقاء بعض الهدايا من الطائرات.

عرف «أحمد»، أن من ضمن هذه الأشياء التي ستُلقى، شيئًا ما بخصوص الخطة التي وضعَتها العصابة، فأعلن أنه سوف يكون جاهزًا في الثالثة.

خرج «أحمد» من مقر الشركة واستقلَّ تاكسيًا، وتوجَّه مباشرةً إلى مقر الشياطين، بعد أن تأكد من أنه غير مراقَب. كان عقله يعمل بسرعة؛ فالساعة الآن الثانية عشرة، ولم يعُد أمامهم إلا ساعات، وتبدأ المنظمة في تنفيذ خطتها.

في هذا الوقت، في محل «روي» في حي «ماديسون» وقفَت سيارة شيفروليه بيضاء كبيرة، ونزل منها ثلاثة رجال؛ اثنان منهم ضخما الجثة، يبدوان كحرسٍ مسلَّح. والثالث أكبرهم سنًّا، يضع نظارةً طبية، ويرتدي ثيابًا بسيطة، ويبدو في حالةٍ سيئة، فشَعرُه غير منظَّم، تشبه ملامحه ملامح العالم «فريد»، وربما جاء لمقابلة «وندرهاند» لسببٍ ما.

أسرعَت «زبيدة» إلى جهاز الإرسال في السيارة، واتصلَت بـ «بو عمير» في المقر، ووصفَت له الرجل الذي رأته مع «إلهام»، وشكَّت في أنه العالم «فريد».

في هذه اللحظة وصل «أحمد» إلى المقر، وأبلغه «بو عمير» بما سمع، فقال له: إنه لا بد من مهاجمة الفيلا الآن، لإنقاذ العالم «فريد»، وإفشال خطة العصابة؛ فلم يعد هناك مجالٌ

للانتظار. وفعلًا، استعد «أحمد» و«قيس»، وقبل خروجهما من المقرِّ ظهر «بو عمير» وقد ارتدى ثيابه، وقال إنه مُصرٌّ على المشاركة في المعركة.

نزل الشياطين الثلاثة إلى السيارة الفضية، التي كان يستقلُّها «بو عمير» ليلة أمس. وبعد دقائق، وصلوا إلى محل «روي» في حي «ماديسون»، ووقفوا بجانب السيارات التي تقف عادةً لتناول الطعام السريع، وجاءت الفتاتان إلى الشياطين، وتعجَّبتا من وجود «بو عمير»، الذي بدا شديد الشحوب. وأوجزَت «إلهام» الموقف في الفيلا، وعدد الحرس الذي رأته، مع احتمال وجود عددٍ آخر في الداخل.

قال «أحمد»: على كل حالٍ لا بد أن نخوض المعركة مهما كانت الظروف.

نظر الشياطين إلى الفيلا البيضاء التي يهاجمونها، فوجدوها تتكوَّن من ثلاثة طوابق، ومحاطة بسورٍ حديديٍّ مرتفع، وكذلك بسورٍ آخر من النباتات، لها مدخلٌ أماميٌّ كبيرٌ وآخر جانبيٌّ أصغر. وكان ثمَّة حارسٌ يقف أمام الفيلا، لا بد من التخلص منه حتى لا يعطي إشارة إنذار.

وبسرعة، عرضَت «زبيدة» فكرةً بسيطة، أُعجب بها الأصدقاء، وبدأَت هي في تنفيذها. جلسَت أمام عجلة قيادة السيارة الصغيرة، وبدأَت السيارة في السير للخلف، وازدادت السرعة بطريقةٍ مفاجئة بعرض الشارع، واصطدَمَت مؤخرتها بجانب السيارة الكاديلاك السوداء، التي كانت تقف أمام الفيلا، فأسرع الحارس، ليرى ما حدث لسيارته، وقبل أن يخرج من باب الفيلا، كان «أحمد» في سرعة الفهد قد عبَر الطريق، وعاجلَه بلكمةٍ أفقدَته الصواب في الحال، وحملَه إلى داخل سور الفيلا قبل أن يراه أحدٌ. وعادت «زبيدة» بالسيارة مرةً أخرى إلى الجانب الآخر، لكيلا يستدعي منظر الحادث تدخُّل البوليس.

وبسرعة، قَسَّم الشياطين أنفسهم إلى قسمَين، ليتولَّوا الهجوم على باب الفيلا، فكان «أحمد» و«قيس» من الأمام، و«بو عمير» الذي أمسك مسدَّسه بيده اليمنى، في حين رُبطَت اليد اليسرى إلى صدره، ومعه «إلهام» و«زبيدة» من الباب الجانبي.

وعند اللحظة المناسبة المتفق عليها، كان الهجوم على جانبَي المكان؛ فعندما دخل «بو عمير» تتبعه «إلهام» و«زبيدة»، وجدوا الباب يؤدي إلى مطابخ، وقاعات الخدم المُلحقة بالمنزل، وكان بعضهم يزاول عمله العادي في الغسل والطبخ.

أما «أحمد» و«قيس»، فكان الباب الذي اقتحماه يؤدي إلى مدخلٍ واسعٍ فخم، لا أحد فيه، ثم إلى ردهةٍ طويلة، على جانبَيها بعض الأبواب المغلَقة، فتحَها «أحمد» بابًا تلو الآخر، وكانت جميعها غُرفًا خاليةً، إلا الغرفة الأخيرة؛ فعندما فتحها «أحمد»، وجد رجلًا يجلس

على كرسيٍّ متحرك، ويبدو عليه أنه مشلول، وكانت ملامحه هادئة، فنظر إلى «أحمد» قائلًا: هل أنت الذي أرسلك الدكتور «مارك»؟

قال «أحمد»: نعم.

وفي نفس الوقت، أطلق «أحمد» رصاصة، جعلَت الرجل يسقط على الأرض دون أن ينطق بحرفٍ واحد.

نهاية الرحلة!

تعجَّب «قيس» من تصرُّف «أحمد»، ونظر إليه نظرةَ دهشة. وقبل أن يتحدَّث ...

تَقدم «أحمد» إلى الرجل الملقى على الأرض، ورفع البطانية التي كان يضعها على ساقَيه، فوجد مدفعًا رشاشًا صغير الحجم.

فقال «أحمد»: عندما ضربتُه، كانت يده في طريقها إلى المدفع هذا؛ فالكرسي لم يكن سوى خدعةٍ لكسب الوقت.

ابتسم «قيس» الذي كان منذ لحظاتٍ متعجبًا من تصرف «أحمد».

كانت الطلقة التي أطلقها «أحمد» قد دوَّت في المكان، حتى وصلت إلى حيث يوجد «بو عمير» و«إلهام» و«زبيدة». وارتسمَت علامات التوتُّر على وجوه الخدم، الذين كان أغلبهم من الزنوج.

فقال «بو عمير»: أرجو أن يلزم الجميع الهدوء، حتى لا يُصاب أحد.

سَمِعَت هذه الكلمة فتاةٌ صغيرةٌ سمراء، فبكت وسالت الدموع على وجنتَيها، فذهبَت «إلهام» إليها وقالت لها: لا تخافي أيتها الصديقة؛ فنحن هنا في مهمة سلام ولن نؤذي أحدًا.

وسارت، لكنها قبل أن تخرج، صاحت بها الفتاة: حسنًا ... إنهم في البدروم.

التفت إليها الأصدقاء فعادت تقول: من تبحثون عنهم في البدروم! لا أعلم لماذا! ولكنهم أسفل!

أسرع الأصدقاء إلى الداخل، فقابلوا «أحمد» و«قيس»، وقالا لهما ما سمعوا.

فقال «بو عمير»: ولكن أين الطريق؟

فقال له «أحمد»: أظن أن بداية الطريق في الغرفة التي كنا بها منذ دقائق.

أسرعوا إليها، ولكنهم قبل الوصول إلى الباب، سمع الأصدقاء أزيز رصاصٍ صادر من مسدس كاتم للصوت. فارتمى «أحمد» و«قيس» أرضًا، في حين اختفى الباقون خلف بابٍ آخر.

عندما ارتمى «أحمد»، شاهد في مرآةٍ في الصالة خيال الرجل الذي يصوِّب عليهم مسدسه. وأشار «أحمد» إشاراتٍ خاصة فهمها «بو عمير»، الذي لم تمنعه ذراعه المربوطة، من أن يوجِّه قنبلةً في حجم علبة الكبريت، تثير الأعصاب، إلى الحجرة التي بها الرجل. وما هي إلا لحظات، حتى خرج الرجل من الغرفة، فأصبح هدفًا سهلًا لنيران «قيس»، الذي أصابه بطلقةٍ واحدة من مسدسه. وأسرع الشياطين إلى الغرفة فوجدوا بابًا سِحريًّا في الجدار، يؤدي إلى مصعد، فاستقلَّه الشياطين.

وصل المصعد وفتح «قيس» الباب، فوجدوا أمامهم ممرًّا طويلًا يؤدي إلى بابٍ مُغلق. سار الأصدقاء في اتجاه الباب الذي فُتح، وخرج منه رجلان؛ أحدهما يحمل حقيبةً. فلما وقع بصره على الشياطين، حاول هو وزميله العودة مرةً أخرى إلى الداخل، ولكن قفزةً واحدةً من «إلهام»، كانت أسرع من محاولتهما؛ فقد أصابت بقدمها الرجل الأول فسقط على الأرض، أما الثاني فحاول إخراج مسدسه، فعاجله «قيس» بضربةٍ قوية، ثم تبعها بضربةٍ أخرى فتأوَّه الرجل على أثَرها؛ فقد أصابته إصابةً شديدةً.

فتح «قيس» الباب، ففوجئ بمعملٍ كاملٍ بأجهزته العلمية ورجالٍ يعملون في صمت. وتَقدم الأصدقاء بهدوءٍ إلى الداخل، ولكن قطع الصمت صوتُ جرس إنذار، فعرف الشياطين أنهم قد ارتكبوا خطأً ما. وعلى الفور أُغلقت الأبواب، ونظر الرجال إلى الشياطين.

فقال «أحمد»: أرجوكم، لا تضطَرونا إلى إصابة أحدٍ منكم!

وفي هذه اللحظة، خرج رجلٌ أذهل الشياطين لفرط ضخامته، فعرف الأصدقاء أنه «توم الصغير» الحارس الخاص لمستر «وندرهاند». ويبدو أن هذا الرجل كان يستحق السُّمعة التي عُرف بها؛ ففي جزءٍ من الثانية كان قد أخرج مسدسه وبدأ يطلق الرصاص على الشياطين بطلقاتٍ محكمة، ولكن خفة الشياطين لم تمكِّنه من إصابة أحدٍ، وبادلوه إطلاق الرصاص. وهنا فُتح الباب الخلفي للمعمل، وخرج ثلاثة رجال يحملون مسدسات، وبسرعةٍ نفَّذ الشياطين خطةً طالما تدرَّبوا عليها، وهي أن يُقسِّموا أنفسهم قسمَين، يغطِّي أحدهما الآخر. وبدءوا في إطلاق وابلٍ من الرصاص على الجانبَين، فهرب «توم الصغير» إلى الداخل. ويبدو أن إصابة «بو عمير» لم تقلِّل من مهارته في إطلاق الرصاص، فقد استطاع أن يصيب رجلًا بطلقةٍ واحدةٍ، مما سهَّل على «إلهام» أن تصيب الرجل الذي في المقدمة. وأسرع الثالث بالفِرار، ولكنه لم ينجح في ذلك، فقد كانت طلقة مسدَّس «قيس» أسرع.

اتجه الشياطين إلى الباب الذي هرب منه «توم الصغير» فوجدوه مغلقًا من الخارج، فأخرج «أحمد» من حزامه جهازًا صغيرًا وضعه في مقبض الباب وابتعد قليلًا، فانفجر الجهاز وفتح الباب، ولكنهم وجدوا الغرفة خالية، فعرفوا أن بها بابًا سريًّا يؤدي إلى الخارج. ولم يستمر البحث سوى لحظات، ووجدوا الباب الذي كان مخفيًّا بإتقانٍ، ولكنهم فتحوه فوجدوا سردابًا طويلًا يؤدي إلى سلَّم، فصَعِدوا السلَّم الذي أوصلهم إلى السطح.

كان وصولهم في الوقت المناسب؛ فقد كانت هناك طائرة هليوكوبتر صغيرة تستعد للإقلاع، ولكن الشياطين لم يستطيعوا أن يُطلِقوا النار على الطائرة؛ فقد كان العالِم «فريد» يستعد لركوب الطائرة في نفس اللحظة، وكان خلفه أحد الحرس ومعه مدفعٌ صغير، فأشار «أحمد» إلى العالِم «فريد» إشارةً خاصةً، فهمها، وارتمى على الأرض، مما سهَّل على الشياطين إطلاق نيرانهم على حارسه، ولكن الطائرة أقلعت بسرعةٍ ولم تفلح مسدَّسات الشياطين في منعها من الطيران، وبسرعة توجَّه الشياطين إلى العالم «فريد» وقال «أحمد»: هل أنت بخيرٍ يا سيدي؟

ردَّ الرجل: نعم ... ولكن أسرعوا فقد أخذوا «فريدة» معهم، وهناك طائرةٌ خاصة في انتظارهم بالمطار الخاص بالشركة، سوف تُقلع إلى نيويورك.

وعلى الفور قال «أحمد»: سوف أُسرع أنا بالسيارة الصغيرة إلى المطار، لعلي ألحق بهم قبل طيرانهم إلى «نيويورك»، وأنتم تلحقون بي بالسيارة الكاديلاك السوداء.

لم يضيِّع «أحمد» وقتًا، فنزل بسرعة إلى الشارع، وركب السيارة الصغيرة التي لم تخيِّب آماله فانطلقَت بسرعة الصاروخ. ولم يتوقَّع «أحمد» أن محرك هذه السيارة الصغيرة بهذه القوة.

وبدأت مطاردةٌ غريبةٌ بين الطائرة الهليوكوبتر وبين السيارة، في اتجاه مطار الشركة التي أدى فيه «أحمد» مسابقة الطيران. وبعد عشرين دقيقة وصل «أحمد» المطار، ولكنه فوجئ ببعض الرجال يقفون أمام الباب الحديدي للمطار يمنعون الدخول، ولكنه تقدَّم دون تردُّد وبكل سرعتِه في اتجاه الباب، مندفعًا بالسيارة كالقنبلة فحطَّم الباب الحديدي، ودخل إلى أرض المطار، فوجد الطائرة الهليوكوبتر على الأرض، وبعض الرجال يركبون الطائرة التي تقف بجانبها، ومحرِّكاتها دائرة، وعلى استعدادٍ للطيران. وعلى بُعد حوالي ٣٠٠ متر أغلقَت الطائرة أبوابها، وبدأَت في التحرُّك، وكانت آخر فرصة لـ «أحمد» أن يتوجَّه صوب الطائرة نفسها، في محاولة للاصطدام بها لمنعها من الطيران، ولكن الطيار كان ذكيًّا

جدًّا، فقد دار دورةً كاملة وأعطى ظهره لـ «أحمد»، وبدأ في زيادة سرعة الطائرة، و«أحمد» في أثَره بسرعةٍ كبيرة.

كاد «أحمد» أن يلامس عجل الطائرة الخلفي بمقدمة سيارته، ولكن الحظ لم يحالفه؛ فقد كانت سيارة الحرس في أثَره، وقد أصابت عجله الخلفي رصاصة، فانفجر الإطار وبدأَت عجلة القيادة تختل في يده، فانحرف بالسيارة بقوة، فاصطدمَت بها سيارة الحرس من الخلف.

قفز «أحمد» من السيارة بسرعةٍ كبيرة، وأخرج مسدسه وأطلق الرصاص على الرجل الذي فتح بابه وحاول الخروج من السيارة، ولكن الحظ عاد وابتسم مرةً أخرى لـ «أحمد»؛ فقد وصل الشياطين في الكاديلاك السوداء بسرعةٍ كبيرة إلى أرض المطار، وأشار «أحمد» لـ «قيس» الذي كان يقود السيارة أن يتبع الطائرة على ممرِّ الإقلاع.

كانت الطائرة قد وصلَت إلى نهاية الممر دون أن تُقلع، فعادت مرةً أخرى لتأخذ سرعتها على الممرِّ ولتبدأ في الإقلاع، فأصبحَت في مواجهة الكاديلاك السوداء، وتوقفَت نتيجة المباراة بين قوة أعصاب الطيار و«قيس» الذي يقود الكاديلاك، ولكن «قيس» المدرب على هذه العمليات الانتحارية والذي كان على درجةٍ عالية من المهارة والثبات، لم تهتَز شعرة في رأسه، وزاد من سرعة السيارة في اتجاه الطائرة، التي لم يستطع قائدها التحكم فيها، فانحرفَت من الممر إلى جانب الطريق، لتتفادى الاصطدام بالسيارة في آخر لحظة.

عند ذلك، توقَّف «قيس» ونزل الشياطين من السيارة، وحاصروا الطائرة بأسلحتهم، ومرت لحظاتٌ بطيئة حتى فُتح باب الطائرة ونزل قائدها واضعًا يدَيه على رأسه علامةً على الاستسلام للشياطين، يتبعه «توم الصغير» الذي ألقى بمسدَّسه على الأرض، ونزل على السلَّم، ثم مستر «وندرهاند» الذي تخلَّى عن عادته، وأخرج يده وربما للمرة الأولى، من جيبه ليضعها خلف رأسه.

وفي النهاية خرجت «فريدة» التي كان يبدو عليها الإعياء الشديد، فجرى إليها والدها واحتضنها، ثم صَعِد إلى الطائرة، وهبط حاملًا صندوقًا متوسط الحجم وقال: حمدًا لله ... فإنهم لم يستطيعوا أن ينفِّذوا تهديدهم.

وفي لحظات، كان الموقف قد انتهى لصالح الشياطين، ومعهم «فريد عبد الله»، الذي عاودَته الابتسامة مرةً أخرى، ومعه ابنته التي كانت تحتضنه في حب ... فلم تكن تتوقع أن تراه مرةً أخرى.

وبعد عدة أيام وفي المقرِّ السريِّ للشياطين، اجتمعوا في صالة الاجتماعات وجاء صوت رقم «صفر» الذي يعرفونه جيدًا ليقول: مرحبًا بكم أيها الشياطين، لقد قمتم فعلًا بعملٍ هائل، وأعتقد أن من حقكم أن تقضوا بعض الوقت على سبيل الإجازة.

ابتسم الشياطين؛ فهم يعرفون جيدًا أن الشياطين لا ينالون إجازاتٍ؛ فإن حياتهم ووقتهم مكرسٌ لخدمة وطنهم، حتى يحقِّقوا له الأمن والقوة.

هنـــداوي